

بيان واستنكار

حول دفن إمام في فناء المسجد

بلدية عين مران - الشلف -

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه وإخوانه إلى يوم الدين، أما بعد:

إن أعلى ما أنعم الله به علينا أن هدانا إلى دين التوحيد، وجنّبنا أديان الشرك والوثنية؛ فالواجب شكر هذه النعمة وحفظها وعدم التفريط فيها؛ إلا أن أقواماً منا يتسبون إلى الإسلام وهم يُمارسون أعمالاً تُناقض التوحيد، ويعتقدون اعتقادات تُضادّه؛ وهؤلاء يُحدثون شرخاً في كيان الأمة، وجرحاً في جسدها يصعبُ اندماله، فيؤخرون نصرها وعزّها، ويحولون بينها وبين تأييد الله وحمايته لها، ذلك لأنّ الله عزّ وجلّ لا ينصر ولا يعزّ ولا يؤيّد ولا يحمي مشركاً قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13]، وقال: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: 72]، وقال: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ نَهَى بِهِ الرَّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: 31]؛ فيجبُ على الأمة أن تأخذ على يد كلّ من يريد أن يمسّ جناب التوحيد، سدّاً لأبواب الشرك ووسائله، ودرءاً لأسبابه ومظاهره.

وإنّ من العمل القبيح الذي يناقض التوحيد الصحيح ما حدث بلدية عين مران بولاية الشلف يوم الثامن والعشرين من رمضان (1438) الموافق (23 جوان 2017)، حيثُ قام جمعٌ من الناس بدفن إمام المسجد بفناء المسجد، وهي سابقة خطيرة وفعلةٌ شنيعةٌ، وإنّ وراءها شرّاً مُستطيراً.

وإنّنا ما كنّا نظنُّ أنّه بقي في أمّتنا الجزائرية - بعد كلّ هذه السنين من انتشار العلم وظهور السنة - من يريد أن يعود بنا إلى زمن الضلالة والبدعة، زمن القبورية وتعظيم الأضرحة وتمريغ الوجوه عند عتبات المشاهد، زمن الجهل وأيام الاستعمار الغاشم.

ونحن إذ نندد بهذا الصنيع أشد التنديد، ناشد الجهات المختصة والسلطات المسؤولة بالتدخل العاجل والسريع لنقل جثمان إمام المسجد المتوفى إلى مقابر المسلمين، وإيقاف هذه الظاهرة الغريبة والبدعة السخيفة، وأنه لا يُسمح لأي أحدٍ كان مهملًا علّت رتبته، وتحت أي ذريعة كانت أن يُدفن في مساجد المسلمين التي لم تُشيد إلا لله وحده ﴿وَأَنْ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: 18]؛ قال ابن القيم في «زاد المعاد» (3/ 501): «فلا يجتمع في دين الإسلام مسجد وقبر، بل أيهما طرأ على الآخر مُنع منه، وكان الحكم للسابق»، وهذا لأجل ما جاء عن النبي ﷺ من النهي الشديد عن اتّخاذ القبور مساجد في أحاديث كثيرة من طريق أربعة عشر صحابياً؛ منها حديث عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: «لعن الله اليهود والنصارى اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد»؛ قالت: «فلولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتّخذ مسجداً» [متفق عليه].

ومنها قول جناب رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتّخذون قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد؛ ألا فلا تتّخذوا القبور مساجد، إني أنهاركم عن ذلك» رواه مسلم.

فهذا الوعيد الشديد في اتّخاذ القبور مساجد يشمل كل أنواع الاتّخاذ من الصلاة عليها بمعنى السجود عليها، أو السجود إليها واستقبالها بالصلاة والدعاء، أو بناء المساجد عليها وقصد الصلاة فيها؛ والذي عليه المحققون من أهل العلم أنه لا تصح الصلاة في المسجد الذي ضمّ قبراً حسماً لمادة الشرك، ولنهي رسول الله ﷺ عن ذلك ولعنه من اتّخذ القبر مسجداً أو أوّقد عليه سراجاً، فهذا دين الإسلام الذي بعث الله به نبيه ﷺ، ولا حق فيه إلا ما قام دليله من الكتاب والسنة؛ وبهذا الميزان توزن أعمال الناس: إماماً حق فيقبل وإماماً باطل فيرد.

وعليه؛ فلا يجوز تنفيذ وصية الموصي بدفنه في المسجد أو فنائه وملحقاته؛ لكونها وصية جائزة باطلة، تخالف صريح دين الإسلام، وصريح النصوص الآنفة الذكر، ومن نقد الوصية أو أعان على تنفيذها، فقد أتى منكراً من العمل وزوراً، وسيلحقه إثم صنيعه ووزره إلى قيام الساعة، ولا يعفيه إلا بأن يتوب ويصلح ما أفسد بإعادة دفن الرّجل في مقابر المسلمين، ولا يُعترّب ببعض الجهلة المفتونين الذين أشادوا علناً بمثل هذا الصنيع الشنيع.

ولا يجوز تحقيرُ أمر هذه الحادثة أو تهوينُ شأنها، فإنَّها متعلِّقةٌ بحقِّ الله الأعظم وهو التَّوحيد الَّذي لا يُستَهانُ به، وما بدأ ظهور الشُّرك وعبادة الأصنام في الأرض إلَّا بمثل هذه الأفعال من تعظيم قبور الصَّالحين وتشييدها وبناء المساجد عليها، كما هو معلوم في القرآن من خبر «ودَّ» و«سُواع» و«يغوث» و«يعوق» و«نسر».

فنهيبُ بكلِّ مَنْ يصله هذا البيان من المسؤولين - وفقهم الله لكل خير - في هذه البلاد أن يولي هذا الأمر أهميَّته ويبدل جهده ووسعه في إصلاح ما أفسد القوم، ويُعيد المسجد إلى حاله الأوَّل خاليًا من القبر. فعلينا أن نأخذ حذرنا، ونحفظ ديننا وعقيدتنا وتوحيدنا، إن أردنا أن يُبقي الله لنا عزَّنا وأمننا وكرامتنا.

والله نسأل أن يهدي ضالَّنا، ويعلم جاهلنا، وأن ينير بالتَّوحيد ربوع وطننا وسائر بلاد المسلمين، وأن يملأ بالعلم والإيمان قلوبنا، وألَّا يؤاخذنا بما فعل السفهاء منَّا، إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه. وصلى الله على نبيِّنا محمَّد وآله وسلَّم تسليماً كثيراً وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

الجزائر - بتاريخ 11 شوال 1438

الموافق: 05 جويلية 2017

* الموقعون:

أ.د. محمَّد علي فرкос	أ.د. عبد المجيد جمعة	د. رضا بوشامة	الشيخ عبد الحكيم دهاس
الشيخ عزَّ الدين رمضان	د. عبد الخالق ماضي	الشيخ توفيق عمروني	الشيخ عمر الحاج مسعود
الشيخ عبد الغني عوسات	الشيخ نجيب جلواح	الشيخ لزهة سنيقرة	الشيخ عثمان عيسي